

المصورون

اشتغل العرب بالتصوير كما اشتغلوا بغيره من الفنون ؛ فكان لهم فيه الأثر الطيب في حضارتهم الأولى اليمنية ، على ما يستخلص من أخبارهم ، ويدل عليه النزر المنتجث من آثارهم* ، ثم بقيت فيهم أثارة منه قبل الإسلام وبعده فحاكوا برود العصب والستور والأنماط المصورة ، ونحتوا الأصنام وصوروا الجدران ، وآلات القتال ، وإن لم يفصح التاريخ عن مبلغ إجادتهم للفن في هذه الفترة ، فلما استبحروا في الحضارة الإسلامية ، وملكوا ناصية العلم بعدما ملكوا ناصية العالم ، ظهر منهم مصورون مجيدون تجلت مقدرتهم الفنية في الروى من أخبارهم ، كما ستقف عليه عند سرد أسمائهم . ولم يهمل كثير من المؤرخين تراجمهم فيما وضعوه من كتب التراجم العامة ، ولكنها جاءت منشورة فيها لا يهتدى إليها إلا بالمصادفات . وخصهم بعض المؤرخين بطبقات كما خصوا غيرهم من ذوى الفنون كعلماء الطب والكيمياء والهندسة وأولى الصنائع العجيبة والمولدين لفنون الأعمال وغيرهم من المشتغلين بفنون اللهو والحلاعة كالمغنين والضاربين على الآلات والرقاصين والمعمودين والمحايلين† سوى البارعين في الألعاب الخارجة عن هذه الفنون كلعاب الشطرنج والنرد والمقامرين حتى بلغت أنواع الطبقات الخاصة أربعين نوعاً ، يتفرع من كل نوع أنواع ؛ على ما ذكره الذهبي والسخاوى . غير أن تهقر العلم بالشرق بعد ذلك ، وقصر الاشتغال على فروع منه كان من أشد النكبات بعد نكبتى دجلة والأندلس على ما ألف في سائر فروع ولا سيما التاريخ ، فلم يصلنا من أنواع الطبقات الأربعين وما تفرع منها إلا ما له صلة بفروع العلم الباقية ، وهو أيضاً غيظ من فيض مما ألف فيها . فليس بمستغرب ألا يبلغنا من طبقات المصورين سوى اسم كتاب واحد ، وهو المنعوت « بضوء النبراس وأنس

(*) متى أتيح لليمن ما أتيح لغيرها من التنقيب ، فسيكشف البحث فيما نعتقد عن آثار مدنية هائلة زاهرة بالفنون تضارع المدنية المصرية ، إن لم تفضلها .

(†) هم اللاعبون بخيال الظل .

الجلّاس في أخبار المزوّقين من الناس » الذي ذكره المقرئ في « خطه »^(٢٤٢) ، ونقل عنه المعجب المدهش من أعمال بعضهم .

وذكر ابن النديم في ثبّت « كتاب الفهرست » الموجود بمقدّمته أن الفن الأول من المقالة الثامنة في أخبار المسامرين والخرفين والمصورين وأسماء الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ، ومراده بالخرفين واضعوا القصص . ولكنه لم يذكر شيئاً عن المصورين في هذا الموضع من الكتاب . ولا يبعد أن يكون كلامه عنهم سقط من النسخة كما سقطت عدة تراجم للمتكلمين من أول المقالة الخامسة ، ثم عثر عليها بعض علماء المشرقيات في إحدى النسخ المخطوطة ونشرها في مجلة ألمانية^(٢٤٣) . هذا إذا لم يكن أراد بالمصورين غير ما نفهمه ، أو يكون اللفظ محرفاً في النسخة .

وبعد فبين أيدينا من الأدلة على اشتغالهم به في الصدر الأول ، غير ما تقدم في فصول الكتاب ، ما رواه الإمام البخاري في باب بيع التماثيل من كتاب البيوع عن سعيد بن أبي الحسن أنه قال : « كنت عند ابن عباس — رضى الله عنهما — إذ أتاه رجل فقال : « يا أبا عباس ! إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التماثيل . » فقال ابن عباس : « لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافع فيها أبداً ، فربما* الرجل ربوة شديدة ، واصفر وجهه ، فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر ، كل شيء ليس فيه روح . »

وفي باب التماثيل من « صحيح البخاري » أيضاً عن أبي زرعة أنه قال : « دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة فرأى أعلاها مصوراً يصور . » إلى آخر ما جاء في الحديث ، والدار دار مروان بن الحكم ، وقيل سعيد بن العاص ، ولم يقف الحافظ ابن حجر على اسم هذا المصور ، كما ذكر في « فتح الباري » .

وقد تقدم في فصل تماثيل الحلوى ما نقله الحافظ المذكور عن القرطبي من أن عرب

(*) ربّما أى انفخ وأصابه نفّس في جوفه ، وقيل دعر وامتلاء خوفاً .

الجاهلية كانوا يصنعون أصنامهم من كل شيء ، وسيأتى فى أسماء المصورين خبر « أبى تجزأة » وصفه للأصنام فى الجاهلية .

ومن الأدلة على اشتغالهم بعد ذلك ما يذكر عرضاً من أخبار المصورين فى القصص والنوادر الأدبية كقصة الجاحظ مع المرأة التى طلبت من الصائغ أن يصوغ لها صورة الشيطان ، فلما سألها مثلاً يحتذى عليه ، ذهبت وأنته بالجاحظ ، وقالت مثل هذا (٣٤٤) ، ثم انصرفت ؛ والقصة مشهورة .

وفى « ثمرات الأوراق » لابن حجة عن الجاحظ أنه حكى عن فتى من أصحاب الحديث قال : دخلت ديراً فى بعض المنازل لما ذكر لى أن به راهباً حسن المعرفة بالناس وأيامهم ، فصرت له لأسمع كلامه ، فوجدته فى حجرة معتزلة بالدير ، وهو على أحسن هيئة فى زى المسلمين ، فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا ، فسألت عن سبب إسلامه ، فحدثنى أن جارية من بنات الروم كانت فى الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال ، فأحببت غلاماً مسلماً خياطاً ، وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت إليها ، وامتنع عن المرور بالدير ، فلما أعيتهما الحيلة فيه طلبت رجلاً ماهراً فى التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور صورة الغلام فى دائرة على شكله وهيئته ، ففعل المصور ، فلم تخطى الصورة شيئاً منه غير النطق ، وأتى بها إلى الجارية ، فلما أبهرتها أغمى عليها ، فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى ، وأخرج الراهب لى الصورة ، فرأيتها ، فسكاد أن يزل عقله ، فلما خلت الجارية بالصورة رفعتها إلى حائط حجرتها ومازالت كل يوم تأتى الصورة وتقبلها ، وتلثم ما تحب منها ، ثم تجلس بين يديها وتبكي ، فإذا أمست قبلتها وانصرفت ، فمازالت على تلك الحال شهراً ، فرض الغلام ومات ، فعملت الجارية مأتماً وعزاء سار ذكره فى الآفاق ، وصارت مثلاً بين الناس ، ثم رجعت إلى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها إلى أن أمست ، فماتت إلى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لناخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ، ويدها ممدودة إلى الحائط نحو الصورة ، وقد كتبت عليها هذه الأبيات :

يا موت حسبك نفسى بعد سيدها خذها إليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهى إلى الرحمن مسلمة وموت موت حبيب كان يعصها

لعلها في جنان الخلد يجمعها بمن تحب غداً في البعث بارئها
قال الراهب : فشاع الخبر ، وحملها المسلمون ودفنت إلى جانب قبر الغلام^(٣٤٥) . انتهى
ومن الأدلة أيضاً على اشتغالهم به ما نقش من أسمائهم على آثارهم المحفوظة بدور
الآثار ، وما أثبتته المؤرخون في تراجم من ترجوهم منهم ، وما ذكر في كتب الصناعات
والحيل من شرح عمل التماثيل وصفة الاحتيايل على تحريكها ، وقد تقدم نموذج منها في
فصل التماثيل المتحركة ، وما نظمه الشعراء في وصفهم من المقاطيع ؛ كقول بعضهم في
رسام ، وقد أورده الصدفى في « جلوة المذاكرة ، وخلوة المحاضرة^(٣٤٦) :

قلت لرسامكم بك الفؤاد مغـرم
قال متى أذيبه فقلت حين ترسم*

وقول برهان الدين الباعونى :

أفديه رساماً رقيق معاطف
بجميع أوصاف الجلال قد اتسم
رسم العذار وقد بدا في خده
أنى أموت به فمت كما رسم^(٣٤٧)

وقول الصفدى فى رسام أيضاً :

أحببت ظبياً بالرسم مشتغلاً
وحسنه فاق فى ذوى الفهم
ألم يروا طرفه وصنعتة
فيعرفوه بالحد والرسم†

وقال فيه :

أحببت رسامكم فذبت به
واشتغل القاب منه واشتغلا
لا تنكروا قط لى ضناً جسدى
فإن هـذا برسمه عملاً^(٣٤٩)

وقال فى نقاش :

أحببت نقاش صاغة شهدت
له بفرط المحاسن الحور
وصاد قلب الورى بناظره
فجفنه كاسر ومكسور††^(٣٥٠)

(*) فيه تورية بالرسم بمعنى الأمر ، ومنه مرسوم السلطان .

(†) فيه تورية بالحد والرسم عند المنطقين .

(††) لو قال : صاد قلوب الورى بناظره ، لكان أولى .

وقال فيه :

يا حسن نقاش كتمت صبايتي في حبه لكن وجدى فاشي
إن كان عارضه يفسر لوعتي لا تنكروا التفسير للنقاش* (٣٥١)

وقال في دهان :

ودهان أقول له ونفسي من الوجد المبرح لم أجدها
ملكك جميع حسن في البرايا (فلو صورت نفسك لم تزدها)** (٣٥٢)
ولبعضهم في دهان أيضاً :

فديتك أيها الدهان لم ذا تصور في دهانك ما دهاني
إذا انشقت سماء الحسن كانت خدودك وردة مثل الدهان† (٣٥٣)

وأشدد تاج الدين السبكي في « طبقاته » لنصور بن محمد الأزدي قاضي هراة :

طلع البنفسج زائراً أهلاً به من وافد سر القلوب وزائر
فكأنما النقاش قطع لي به من أزرق الديباج صورة طائر†† (٣٥٤)
وغير ذلك مما لم تستحضره الذاكرة .

وذكر الخطيب البغدادي في مقدمة « تاريخ مدينة السلام » شارعاً بها كان يسمى
بشارع المصور^(٣٥٥) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، ولا سبب نسبة الشارع إليه ، والظاهر أنه
كان نابه الذكر ، لنبوغه في فنه ، فاستحق بشهرته أن يعرف الشارع به ، دون غيره
من ساكنيه .

(*) فيه تورية بتفسير القرآن الكريم المسمى « شفاء الصدور » لأبي بكر محمد بن الحسن المعروف
بالنقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ كما في « الكامل » لابن الأثير .
(**) هذا الشرط مضمّن من قول أبي تمام ؛ وعجزه : على ما فبك من كرم الطباع ؛ وبدل المقطوع
على أنهم قد يريدون بالدهان المصور .

(†) فيه اقتباس من قوله تعالى : « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » .
(††) فيه دليل على أنهم قد يريدون بالنقاش المصور ، وقد أوردهما ياقوت في « إرشاد الأريب »
منسويين لقاضي هراة المذكور ، وروايته مصدر البيت الثاني : فكأنما النقاش صور وسطه في
أزرق الديباج ... الخ .

وكان يجلب سوق خاص بالمرزوقين ، ذكره القزويني في « آثار البلاد » ، وقال إن فيه آلات عجيبة مزوقة ، وعده من عجائب هذه المدينة^(٣٥٦) .

وهاكم أسماء من عثرنا عليهم من مصوري العرب ملتقطة من عدة مصادر ، ومرتببة على حروف المعجم ، وعدتهم تسعة وثلاثون* ، بينهم من النوابغ الذين شهدت أخبارهم وآثارهم بتفوقهم في الفن : البصريون ، وابن الرزاز ، وابن عزيز ، وابن العميد ، والقصير ، والكتامي ، والأمير عز الدين مسعود ، وبنو المعلم ، والنازوك . والآخرين لم تفصح أخبارهم عن مبلغ قدرتهم الفنيه أو كانوا من المتوسطين . وقد ذكرنا بينهم بعض من برع في ملحقات التصوير ، كالتذهيب و (التزميك)[†] . وعذرنا في هذا التساهل ندرة العثور على أمثالهم بعد ضياع ما كتب عن ذوى الفنون وفنونهم .

أحمد بن إدريس القرافي : الفقيه العلامة أحد أئمة المالكية بمصر ، المتوفى بها سنة ٦٨٤ . كان ، مع تبحره في عدة فنون ، من البارعين في عمل التماثيل المتحركة في الآلات الفلكية . وتقدم الكلام في فصل التماثيل المتحركة على الآلة الفلكية التي عملها في صورة « شمعدان » يتغير فيه لون الشمعة كل ساعة ، وصور به تمثال أسد تتغير عيناه كل ساعة إلى لون ، وتمثال رجل إصبعه في أذنه يظهر وقت طلوع الفجر مشيراً إلى الأذان ؛ حكى ذلك عن نفسه في شرحه « للمحصل »^(٣٥٧) ونقله عنه ابن طولون الصالحى في رسالة « قطرات الدمع فيما ورد في الشمع » .

أحمد بن علي المصري : الرسام . ولد بعد سنة ٧٥٠ ، وتوفى سنة ٨١٧ ، وعانى صناعة الرسم ، وتعاطى النظم مع عامية شديدة ، ولكنه كان سهلاً عليه ، وكان عند إنشاده الشعر كأنه يتكلم لعدم تكلفه ذلك . ترجمه السخاوى في « الضوء اللامع »^(٣٥٨) .

أحمد الواقع : من متأخري المصورين ، له بدار الآثار العربية بالقاهرة لوح من

(*) هذا بعد البصريين وبنو المعلم شخصين ، لأننا لم نقف على عدد أفرادهم .

(†) كلمة مولدة يراد بها النقش والتزيين بالذهب والألوان .

القاشاني ، عليه صورة السكبة المعظمة وبعض المشاهد بالحرم ، وعلى حواشيه مناثر وأبواب . عمله سنة ١٠٧٤ ونقش عليه اسمه ^(٣٥٩) .

أحمد بن يوسف بن هلال الحلبي : كان يصنع الأوضاع العجيبة ، وبرع في النقش والتزنيك والتذهيب ، وأولع بصنع الأوضاع المستحسنة في الأوراق المذهبة ^(٣٦٠) . توفي سنة ٧٣٧ ، وقيل سنة ٧٣٨ .

بدر أبو يعلى : من آثاره تنور بدار الآثار العربية بالقاهرة ، منقوش نقشاً بديعاً رائعاً بحكم رسوم الزخارف . وقد نقش عليه : « عمل المعلم بدر أبو يعلا في شهور سنة ثلاثين وسبعائة ، فرغ منه في مدة أربعين يوماً » ^(٣٦١) ، يريد أربعة عشر يوماً ، فجاء به هكذا عاميته .

البصريون : ذكرهم المقرئ وذكريهم اشتركوا مع بني المعلم في تزويق جامع القرائة الذي جددته السيدة العربية « تغريد » أم الخليفة العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٦٦ ، ويعلم من إطناب المقرئ في وصف هذا التزويق أنهم كانوا من أساطين الفن ^(٣٦٢) .

أبو بكر بن محمد الجلومي الحلبي : ذكره صديقنا الأستاذ الجليل السيد محمد كرد علي في الجزء الرابع من « خطط الشام » (ص ١٣٠) وذكر براعته في النقش ، عن « در الحبيب في تاريخ أعيان حلب » لابن الحنبلي ^(٣٦٣) ، فأثرنا نقل ترجمته برمتها من « در الحبيب » ، ونصها : « أبو بكر بن أحمد النقاش الحلبي الجلومي ، شيخ مسن ، خدم أساتذة النقاشين من الأعاجم ، واستفاد منهم ، وهرب في نقوش البيوت ، وكتابة الطرازات على طريق القاطع والمقطوع ، وفي نقوش ما كان لكفّال حلب وغيرهم من الرماح والسروج والذهب واللازورد ، مع معرفة طريقة حله ، وفي صناعة التركاش* وضعاً ونقشاً ، وصناعة اللوح الذي يكتب فيه ، وصنائع أخرى تتم عشرين صنعة ، وكانت له سلعة عظيمة تنافس بطيخة بالقرب من كتفه ، سبها أنه طلب إلى آمد للنقش في عمارة جددت بها ، فرافقه

(*) التركاش ، والأكثر في الاستعمال التركش ، كلمة مولدة فارسية الأصل يريدون بها كناية السهام .

نقاش شرقى شيعى ، فشعر باسمه ، فضربه على ظهره بخشبة ضرباً مبرحاً أمرضه مدة — وأدى إلى أن كانت له هذه السلعة ، ولما أسنَّ هياً له كفنّاً وقبراً ، وسألنى فى بيتين ينقشهما عليه ، فقلت :

أبو بكر النقاش أحوج سائل إلى رحمة تغضيه عن موجب الوزر
فيا أيها المجتاز نحو ضريحه تمهل قليلاً داعياً لأبى بكر

ثم مات سنة سبعين بعد جلوسه فى بيته لتلاوة القرآن . انتهى . وقوله سنة سبعين أى وتسعمائة .

أبو تجرأة : ممن كان يصنع الأصنام فى الجاهلية وبيعها ، ذكره الأزرقي فى « أخبار مكة »^(٣٦٤) ، والفاسى فى « شفاء الغرام »^(٣٦٥) . ونظنه أبا تجرأة مولى شيبه بن عثمان الحجبى بالخلف ، المذكور فى « الإصابة » للحافظ بن حجر ، و « أخبار أم القرى » للفاكهى ومادة (ج ز أ) من « القاموس » وشرحه ، وإن كانوا لم يتعرضوا لصنعه الأصنام وبيعها فى الجاهلية . وقد ضبطه الحافظ بن حجر فى « الإصابة » بكسر المثناة وسكون الجيم ، وضبطه صاحب « القاموس » بضم التاء وسكون الجيم ، وزاد شارحه فتح الزاى . ولينبه إلى أنه ورد محرفاً فى نسخة « الإصابة » المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٨ م بأبى تجرة ، وفى نسخة « أخبار مكة » للأزرقي المطبوعة بليبسيك سنة ١٨٥٨ م بأبى تجارة .

جواد بن سليمان بن غالب اللخمى : برع فى النقش ورسم الهياكل المدورة فى المصاحف ، وبلغ الغاية فى نقش الخواتم ، وإجراء الميناء عليها ، وأتقن فنوناً أخرى كالزركشة والتطريز والنجارة والتطعيم^(٣٦٦) . مات سنة ٧٥٦ .

حمدان الخراط : جاء فى « الأغاني » ما ملخصه أن رجلاً بالبصرة ، كان يسمى بمحمدان الخراط ، اتخذ جاماً لإنسان كان بشار بن برد عنده ؛ فسأله بشار أن يصنع له جاماً فيه صور طير تطير ، فصنعه له ، وجاء به ، فقال له : كان ينبغى أن تصور فوق هذه الطير طائراً من الجوارح ، كأنه يريد صيدها ، فإنه كان أحسن ، فقال : لم أعلم ! قال : بلى علمت ، ولكن علمت أنى أعمى لا أبصر شيئاً ! وتهتده بالهجاء ، فأوعده حمدان إن

هو مجاهد أن يصوره صورة مخزية على باب داره ، حتى يراه الصادر والوارد ، فقال بشار :
اللهم أخزه ، أنا أمازحه ، وهو يأبى إلا الجدل (٣٦٧) .

ابن الرزاز : هو أبو العز بن إسماعيل بن الرزاز الجزري ، مؤلف كتاب « الحيل
الجامع بين العلم والعمل » المتقدم ذكره . وقيل هو أبو العز إسماعيل ، وقيل كنيته أبو بكر
ويلقب ببديع الزمان ، ولم نقف له على ترجمة نستقي منها أخباره في الفن ، ولكن من
يطالع كتابه هذا يعلم أنه كان من البارعين في تصوير التماثيل المحركة بالحيل . وقد عثر علماء
المشقيات من الألمان على نسخة منه بإحدى خزائن القسطنطينية فوصفوه ، وترجموا منه
فصولا إلى لغتهم على ما بلغنا (٣٦٨) .

شعيب بن محمد بن جعفر التولنسي : برع في التزميك وأتقن عدة فنون ، وتوفي
سنة ٧٧٠ (٣٦٩) .

عبد الرحمن بن أبي بكر الرسام : الدمشقي ، ويعرف بابن الحبال . مات بدمشق
نخبة سنة ٨٦١ ، ودفن بالصالحية (٣٧٠) .

عبد الرحمن بن علي بن محمد الدهان : ويعرف بابن مفتاح ، كان يعاني صناعة
الدهان ، ويتكسب منها (٣٧١) . توفي قريب سنة ٨٦٠ .

عبد الكريم الفاسي الشهير بالزريع : من متأخري المصورين على القاشاني ، له
قطع بدار الآثار ، عمل بعضها سنة ١١٧١ وكتب عليها اسمه (٣٧٢) .

عبد الله بن الحسن المصري : كان من المروقيين في العصر الفاطمي ، ولم نقف له
على ترجمة ، وإنما عرفناه من كتابة بقبة المسجد الأقصى ، رآها السائح الهروي ، ونقلها في
كتاب « الإشارات في معرفة الزيارات » نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذي
أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . نصر من الله
وفتح لعبده ووليه * على أبي الحسن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين ،

(*) في نسخة أخرى من « الإشارات » : نصر من الله لعبده ووليه .

صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بعمل هذه القبة وإذهابها سيدنا الوزير الأجل صفى أمير المؤمنين وخالسته أبو القاسم على بن أحمد أيده الله ونصره فـكـمـل * جميع ذلك[†] فى سلخ ذى القعدة سنة ست وعشرين وأربعمائة ، صنعة عبد الله بن الحسن المصرى المزوق^(٢٧٢) .

أبو العزّ : من المصورين على الخرف ، وجد اسمه مكتوباً على قطع مما عثروا عليه فى أطلال القسطنطينية^(٢٧٤) ، وقد شرحنا وصف هذا الخرف المصور فيما تقدم .

ابن عزيز : ذكره المقرئ فى خطه ، وهو من مصورى العصر الفاطمى ، استدعاه الوزير أبو محمد الحسن اليازورى^{††} ، الملقب بسيد الوزراء ، من العراق إلى مصر ؛ وكان هذا الوزير أحب ما إليه كتاب مصور ، أو النظر إلى صورة أو تزويق . وكان بمصر رجل من كبار المصورين ، يقال له القصير ، حمله الإعجاب بصنعتة على أن يشتط فى أجرته ، وهو حقيق بذلك ، لأنه كان يعد فى التصوير كابن مقلة فى الخط ، ويعد ابن عزيز كابن البواب ، فاستدعى الوزير اليازورى ابن عزيز من العراق ليحارب القصير ، وكان كثيراً ما يحرض بينهما . واجتمعا يوماً بمجلسه ، فقال ابن عزيز : أنا أصور صورة إذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط ؛ فقال القصير : وأنا أصورها ، فإذا رآها الناظر ظن أنها داخلية فى الحائط ، فقالوا : هذا أعجب . فأمرها أن يصنعا ما وعدا به ، فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلية فى الحائط ، وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط فصور القصير صورة راقصة بثياب بيض فى صورة حنية دهنها أسود ، كأنها داخلية فى صورة الحنية ؛ وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر فى صورة حنية صفراء ، كأنها بارزة من الحنية ، فاستحسن اليازورى ذلك ، وخلع عليهما ، ووهبهما كثيراً من الذهب^(٢٧١) .

على بن عبد القادر بن محمد النقاش : أخذ صناعة النقش عن زوج أمه وبرع فيها

(*) فى نسخة : وكل .

(†) فى الأصل بالنسختين : إلى .

(††) نسبة إلى يازور بالثناة التحتية فى أولها وهى بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين ينسب إليها الوزير المذكور ، وقد يتصحف باليازورى بالوحدة فى بعض كتب التاريخ المطبوعة فلينبه له .

وتكسب في حانوت بالصاغة ، وتوفى سنة ٨٨٠^(٣٧٦)

علي بن محمد امكى : من المصورين على الزجاج ، له بدار الآثار مشكاة بديعة ، صور عليها إحدى الشارات المسماة بالرنوك وكتب عليها اسمه^(٣٧٧) .

علي بن مهند : له بدار الآثار لوح من القاشاني عليه صورة محراب قائم على عمودين وقنديل معلق بأعلاه ، صوره سنة ٧١٦ وكتب عليه اسمه^(٣٧٨) .

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد وزير ركن الدولة البويني ، والعميد لقب والده . وكان أبو الفضل محيطاً بعدة علوم ، بارعاً في عدة فنون ، يعد من نوابغ المصورين في عصره . وكانت وفاته سنة ٣٦٠ وقيل سنة ٣٥٩ . ترجمه ابن خلكان ترجمة حافلة^(٣٧٩) ، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» فقال في تعداد فضائله : « كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد ، كعلوم الحيل التي يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة ، وجر الثقل ومعرفة مراكر الأثقال ، وإخراج كثير — مما امتنع على القدماء — من القوة إلى الفعل ، وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون ، والحيل في الحروب مثل ذلك ، واتخاذ أسلحة عجبية وسهام تنفذ أمداً بعيداً ، وتؤثر آثاراً عظيمة ، ومراء تحرق على مسافة بعيدة جداً ، ولطف كف لم يسمع بمثله ، ومعرفة بدقائق علم التصاوير ، وتعاطي له بديع ، ولقد رأيت يتناول من مجلسه الذي يخلو فيه بثقائه وأهل مؤانسته التفاحة ، وما يجري مجراها ، فيعيب بها ساعة ، ثم يدحرجها وعليها صورة وجه ، وقد خطها بظفره ، لو تعمد لها غيره بالآلات المدة ، وفي الأيام الكثيرة ما استوفى دقائقها ، ولا تاتي له مثلها »^(٣٨٠) . انتهى .

قلنا وما نفق الأستاذ ابن العميد عند ركن الدولة ، وخطا الخطوة الأولى في تسنم المراتب العالية إلا بفضل علم واحد من تلك العلوم ، وهو علم جرّ الثقل ، ومعرفة مراكر الأثقال . قال ابن الصابي : « إن ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالرى ، واختار له موضعاً وكانت فيه شجرة ذات استدارة عظيمة ، وعروق نازلة متشعبة ، فقدر لقلعها وإخراج عروقها جملة كثيرة ، ولم يقع في نفسه أنها تستأصل استئصالاً قاطعاً ، فقال ابن العميد :

« أنا أ كفى الأمير هذه الكلفة ، وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء ، وفي أقرب أمد وأقل عدد . فاستبعد ذلك ركن الدولة ، وقال من طريق الإزراء : افعل : فاستدعى حبلاً وأوتاداً ، وسلك هذا المسلك المعروف في جرّ الثقل ، فلما رتب ما رتبته ، ونصب ما نصبه ، أقام نفراً قليلاً حتى مدوا ، ومنع أن يقف أحد على جُربان* كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوج أصولها ووشوج عروقها . ووقف ركن الدولة في موكنه ينظر ، فما راعهم إلا ترزعزع الأرض ، وانفتحتها وانقلاب قطعة كبيرة منها ، وسقوط الشجرة منسلة بجميع عروقها . فعجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ، ونظر إلى أبي الفضل بعين الجلالة . وهذا أمر لا يعظم عند من يعرف الحيلة فيه ، والطريق المقصود إليه » (٣٨١) . انتهى .

غزال : أحد المصورين على الخزف المتقدم ذكره ، وورد اسمه مكتوباً على بعض القطع (٣٨٢) .

الغبيي : أحد المصورين على الخزف أيضاً ، وقد ورد اسمه على بعض القطع « الغبيي الشامي » ، وعلى بعضها غفلاً من هذه النسبة (٣٨٣) .

فاضل بن علي : رأيت له ترجمة في الجزء السابع من « التذكرة الكمالية » لكمال الدين محمد الغزّلي ، وهو عندي بخطه ، فأثرت إثباتها برمتها ؛ لأن صاحب « سلك الدرر » (٣٨٤) لم يتعرض لذكره ، وهي : « فاضل بن علي بن عمر الظاهر الزيداني الصفدي الأديب الأريب الناظم النائر الشاعر المجيد المتفوق الأوحد ، ولد سنة أربع وسبعين ومائة وألف ، وجاء تاريخ ولادته † ، وقرأ على عبد الغني بن †† الصفدي بصفد ، وعلى غيره ، وحفظ المتون . ولما قتل والده في قصة طويلة ، أخذ مع إخوته وبنى عمه لدار السلطنة العلمية القسطنطينية المحمية ، وأدخلوا السراي السلطانية ، وقرأ صاحب الترجمة هناك على جماعة كالعلامة مصطفى أفندي الحميدي ، و خليل أفندي القسطنموني ، والنيب ،

(*) بضم فسكون جمع جرب بفتح فكسر وهو مقدار مساحة معروفة ، والمقصود أنه منع أن يقف أحد حول الشجرة في المسافات التي قدرها .
(††و†) بياض بالأصل .

وعمر بن عبد السلام بن مرتضى الأزرنجاني ، وغزير فضله ، ونظم ونثر ما هو كمعد الجمان وسلك الدرر ، وتعلم اللغة التركية ومهر بها ، وترجم كتاباً في الطب من العربية إلى التركية باسم مخدومه ، وصار له مهارة كلية في التصوير والنقش وتجسيم البلاد والعباد ، وله في ذلك العجب العجائب » . انتهى . وأعله على هذا لا يعد من مصوري العرب بالمعنى الذي قصدناه ، وإن كان عربي الأصل^(٣٨٥) .

القصير : ذكره المقرئ في « خططه » ، وهو معدود من نوابغ المصورين في العصر الفاطمي بمصر ، اتصل بالوزير اليازوري وكان من المولعين بالفن المغالين فيه ، إلا أن إعجاب القصير بنفسه ، واشتغاطه في الأجرة ، حمل الوزير على استدعاء ابن عزيز من العراق لحاربه ، وقد تقدم في ترجمة ابن عزيز ما كان من اجتماعهم بحضرة الوزير ، وتصوير القصير صورة راقصة بثياب بيضاء في صورة حنية سوداء ترى كأنها داخلية في الحنية . وتصوير ابن عزيز صورة بعكسها ترى الراقصة فيها كأنها بارزة من الحنية ، ولا يخفى ما يستدعيه هذا العمل من البراعة الفنية^(٣٨٦) .

الكتامي : ذكره المقرئ ، وهو من نوابغ المصورين بمصر أيضاً ، وكان من تلاميذ بنى المعلم . ومن آياته في فنه صورة كانت بدار النعمان بالقراءة ، صور فيها يوسف عليه السلام في الجب وهو عريان ، والجب كله أسود ، إذا نظره الإنسان ظن أن جسمه باب* من دهن لون الجب^(٣٨٧) .

محمد بن حسن الموصلي : له بدار الآثار منارة من صفر محلاة بالذهب والفضة ، عليها كتابة بالقلم الكوفي ، وصور آدميين وصنوف من الحيوان ، نقشها سنة ٦٦٨ ونقش عليها اسمه^(٣٨٨) .

محمد الدمشقي : له بدار الآثار لوح من القاشاني عليه صورة مكة المكرمة والكعبة المعظمة ، صورها سنة ١١٣٩ ، وكتب عليهما اسمه^(٣٨٩) .

(*) كذا في نسخة « الخطط » البولاقية ، والذي في نسخة عندنا مخطوطة (نات) وأمل الصواب (نات) أي بارز ، وليحقق .

محمد بن سنقر البغدادي : له بدار الآثار كرسى من صفر ، عمله للناصر محمد ابن قلاوون ، وحلاه بالنقوش البديعة ، وصور عليه صوراً من البط ، ونقش عليه هذه العبارة : « عمل العبد الفقير الراجي عفو ربه ، والمعترف بذنبه ، الأستاذ محمد بن سنقر البغدادي السناني » ، وذلك في تاريخ سنة ثمانية * وعشرين وسبعمئة في أيام مولانا الملك الناصر عز نصره ^(٢٩٠) . وقد تقدم في فصل التصوير على الأثاث ذكر هذا الكرسى ، وأنه صور عليه البط ، إشارة إلى اسم قلاوون ؛ لأنه بهذا المعنى في التركية القديمة .

محمد بن علي بن عمر : المعروف بشمس الدين الدهان ، لمعاناته هذه الصناعة ، وكان ملماً بصناعات أخرى ^(٢٩١) ، مجاه جمال الدين الصوفي ببينين يدلّان على أنه كان يصوّر الناس ، تركت ذكرهما لما فيهما من البذاءة . وكانت وفاته سنة ٧٢١ ؛ وفي كونه كان يصوّر الناس دليل على أنهم قد يطلقون الدهان على المصور كما تقدم .

محمد بن محمد بن أحمد : شمس الدين الرسام ، تميّز في صناعته ، وبرع في غيرها كالتهذيب وعمل المزهرات ، وقص الورق وإصاق الصيني ^(٢٩٢) ، وكان موجوداً سنة ٨٨٥ . وصناعة قص الورق التي تميّز فيها هذا الرسام ، فوق تميزه في فنه ، لم تكن من الهنات الهينات كما يتبادر ؛ بل كانت من الصناعات الدقيقة المعدودة من أعاجيب أرباب الفنون ؛ لأنها عبارة عن الكتابة في الورق بالقص . وكان جواد بن سليمان المتقدم ذكره من البارعين فيها ، كما في « المنهل الصافي » لابن تغرى بردى ، وقد نقل عن الصفدي أنه كتب مرة لامية العجم قصاً في غاية الحسن ، وكان صديقاً للصفدي . وأنشد المقرئ في « نفح الطيب » لحيد بن عبد الله الأنصارى القرطبي فيمن يكتب في الورق بالقص ، قال وهو عجيب :

وكاتب وشى طرسه حبرٌ لم يشها حبره ولا قلمه
لكن بمقراضه ينمنمها نعمة الروض جاده رهمه⁺
يوجد بالقطع أحرفاً عدت فاعجب لشيء وجوده عدمه ^(٢٩٣)

محمد بن محمد بن عيسى القاهري : كان موجوداً سنة ٨٩٥ ، وتدرّب في التهذيب

(*) الصواب ثمان .

(+) الرّم بكسر ففتح جمع رهمه بكسر فسكون ، وهو المطر الضعيف الدائم الصغير القطر .

على ابن السداد ، وفي شطف الازورد على ظهير العجمي ، وبرع في فنون أخرى^(٣٩١) .
محمود السفيناني : من المصورين على الصفر . له بدار الآثار تنور عليه رسوم ، وكتب عليه « عمل الحاج محمود الضراب في النحاس يعرف بالسفيناني »^(٣٩٥) .
مرشد بن محمد : المعروف بابن المصري ، أجاد في صناعة التذهيب وغيرها^(٣٩٦) .
وكان موجوداً سنة ٨٩٤ .

الأمير مسعود : الملقب بعز الدين صاحب الموصل وحلب ، ابن الأمير سيف الدين قسيم الدولة آقسنقر البرسقي ، ترجمه ابن الفرات في وفيات سنة ٥٢١ من تاريخه . فذكر أنه كان من أذكي الناس ، وكان ذا فكر دقيق في القص والتصوير والتزويق ، لا يلحقه أحد في ذلك .

وذكر في حوادث هذه السنة أن مملوكا لاسلطان محمود ، أي السلجوقي ، وصل حلب بتوقيع من الأمير عز الدين مسعود ، يأمر فيه نائبه بحلب بتسليمها إليه ، فلم يقبل النائب واحتج بعلامة بينه وبين الأمير مسعود ، لم يتضمنها التوقيع قال : « وكانت العلامة بينهما صورة غزال ؛ لأن الأمير عز الدين كان أحسن الناس نقوشاً وتصاوير ، وكان مفرط الذكاء » . فعاد المملوك إلى الأمير عز الدين فوجده قد مات .

بنو المعلم : من مصوري العصر الفاطمي بمصر . ذكرهم المقرئزي وقال إنهم شيوخ الكتامي والنازوك في الفن ، وذكر من آثارهم تزويق جامع القرافة ، ووصف من أعمالهم فيه تصويرهم على قنطرة قوسٍ شاذرواناً مدرجاً بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر ؛ إذا تطلع إليها من وقف في سهم قوسها رافعاً رأسه إليها ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب مُقَرَّنص* ، وإذا أتى إلى أحد قطري القوس نصف الدائرة ، ووقف

(*) المقرئص نوع من الصناعة في الحجر والخشب . ينخذ في زوايا السقوف وعقود الأبواب ، فيه دخول وبروز ، وقد ورد بالنون فيما اطلعنا عليه ، وهو المصهور أيضاً على الألسنة إلى الآن ، ولعله مأخوذ من قولهم : قرئص البازي إذا ربطه ليسقط ريشه ؛ لأنه يكون في هذه الحالة متجماً منكشاً منفش الريش لذاته وتبرمه من ربطه . وقد رأينا بالفاء بدل النون في عبارة واحدة ، وهي للذهبي ، نقلها عنه ابن مفلح في كُنَّاش له عندنا بخطه ، ويكون له على هذا من قرفصته إذا جمعه وشده وجمعه على هيئة المتجمع القاعد القرفصاء ، ثم حرف في الألسنة إلى المقرئص بالنون . والأظهر الأول ، ولا نظن هذه الفاء إلا سبق قلم من ابن المفلح .

عند أول القوس منها ، ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهه مسطحاً لا تتوء فيه . قال : وهذه من أغر الصنائع عند المزوقين ، وكان الصنائع يأتون إلى هذه القنطرة ليعملوا مثلها ، فلا يقدرّون ، وأن البصريين اشتركوا مع بنى العلم فى تزويق الجامع ، ولكن القنطرة من عمل هؤلاء^(٣٩٧) . قلنا : وحسبهم نخراً أن يكون من تلاميذهم الكتامى المتقدم ذكره . وذكّر صورة يوسف عليه السلام التى صورها .

موسى بن عبد الغفار السميدسى : كان موجوداً سنة ٨٧٠ وعانى التذهيب ، فبرع فى صناعته ، وصار أحد من عليهم المعول^(٣٩٨) .

النازوك : ذكره المقرئى فى كلامه على بنى العلم ، فعرّفهم بأنهم شيوخ الكتامى والنازوك ، ولم يذكر له أثراً يستدلّ منه على براعته فى الفن كما فعل بالكتامى ، إلا أن تعريفه بنى المعلم بأنهم شيوخ هذين المصوّرين مع ما ذكره لهم والكتامى من التفوق الفنى يدل على أنه كان من كبار المصوّرين المعروفين . وقد ورد اسمه بالنون والزاي والكاف فى آخره فى نسخ « الخطط » التى اطلعنا عليها .

الهرمزى : أحد المصوّرين على الخزف . وله قطع بدار الآثار عليها اسمه^(٣٩٩) .

يوسف الباهلى : تقدّم أننا رأينا اسمه منقوشاً بالقلم الكوفى على صورة حجر من الشطرنج مرسوم فى كتاب فى الشطرنج بالفرنسية^(٤٠٠) ، وهو على صورة فيل عليه ملك يحف به الجند من مشاة وفرسان ومكتوب عليه : (من عمل يوسف الباهلى) . وذكر مؤلف الكتاب أنه قطعة من أحجار الشطرنج الذى أهداه الخليفة هارون الرشيد لشارلمان^(٤٠١) .